



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية/قسم التاريخ

المرحلة الثانية

اسم المادة :تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516 – 1916

المحاضرة الاولى

الغزو الاستعماري الأوربي للوطن العربي

م.م.رنا فرج علي حسين

2025

1446

المحاضرة الاولى : الغزو الاستعماري الأوربي للوطن العربي :

شهدت بداية العصور في القرنين الخامس عشر والسادس عشر حركة مهمة للتوسع الأوربي شملت مختلف أرجاء الكرة الأرضية ، فقد فتح النشاط الاقتصادي في أواخر القرن الخامس عشر لأوروبا آفاقا جديدة للتجارة والرخاء فاندفع الأوربيون بحماس كبير يجوبون بحار العالم ومحيطاته بحثا عن طرق جديدة توصلهم إلى الشرق ، هذا بالإضافة إلى رغبتهم بالحصول على التوابل ، وكان البرتغاليون والأسبان في مقدمة القوى الأوربية التي تحملت عبء حركة الاستكشافات الجغرافية ، إذ كان هاتان الفئتان في اشتباك مزمن مع العرب وخاصة بعد سقوط غرناطة سنة 1492 وطرد العرب من الأندلس والرغبة في ملاحقتهم حتى شمال إفريقيا ، والعمل على تحطيم التجارة العربية في البحر المتوسط والمحيط الهندي والحصول على مواقع استراتيجية في هذه المناطق تساعد أساطيل الدولة الغازية إلى تحقيق أهدافها الاستعمارية .

وقد تركزت نقاط الصدام بين المستعمرين الأوربيين والعرب منذ منتصف القرن الخامس عشر في منطقتين حيويتين الأولى في الطرف الشمالي الغربي من الساحل الأفريقي المتمثل بالبحر المتوسط والمحيط الأطلسي والثانية في المياه العربية الجنوبية المتمثلة بالبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي .

الغزو البرتغالي للمغرب الأقصى :

تطلع البرتغاليون إلى أقطار المغرب الأقصى وعملوا على تطويقها واحتلال موانئها المطلة على البحر المتوسط ، وقد أبدى ملك البرتغال خوان الأول 1385 - 1433 اهتماما كبيرا بالبحرية والأساطيل لاحتلال القواعد والمراكز التي تسيطر على الطرق التجارية وانتهاز فرصة الاضطراب السياسي والتدهور الاقتصادي الذي كانت تعيشه أقطار المغرب العربي في

أعقاب سقوط دولة الموحدين سنة 1275 ظهور قوى منافسة فيما بينها على السلطة كالمرينيين 1269 - 1420 والوطاسيين 1420 - 1510 وغيرهما ، فهاجم سبته في آب سنة 1415 واستولى عليها في محاولة للسيطرة على الساحل الأفريقي والشمالى ، وقد بدأ البرتغاليون بنقل الذهب والمنتجات الزراعية من أفريقيا بحرا إلى لشبونة ونافسوا بذلك طرق القوافل المارة بمصر ، وقد سعى المرينيون الذين ورثوا الموحدين في جنوب مراكش منذ منتصف القرن الثالث عشر إلى استعادة سبته ، حين هاجمها السلطان أبو سعيد المريني إلا أن البرتغاليين أحبطوا هذه المحاولة بل وجربوا احتلال طنجة عندما أرسل الملك ادوارد الذي خلف أباه خوان الأول سنة 1437 حملة بقيادة أخويه دون فرناندو ودون هري ، اتجهت نحو طنجة لكن سكانها دافعوا عن مدينتهم دفاعا مستميتا ، كما عن السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني أرسل إلى المدينة المحاصرة إمدادات كبيرة فشلت الحصار واضطرت البرتغاليين إلى الانسحاب نحو سبته .

ثم لحقت الجيوش المغربية بالقوات البرتغالية وطوقتها واسرت الأمير دون فرناندو وعدد كبير من أعوانه ، وقد اشترك المغاربة مقابل إطلاق سراح الأمير انسحاب البرتغاليين من سبته ، ولكن ملك البرتغال رفض العرض وترك أخاه يموت في الأسر .

تولى عرش البرتغال الملك الفونسو الخامس سنة 1453 فاتبع سياسة أسلافه الذين قصدوا السيطرة على أقطار المغرب العربي فاتجهت أنظاره نحو ميناء القصر الصغير أو قصر مصمودة الذي يقع بين سبته وطنجة ، وكان هدفه الرئيس احتلال طنجة / وفي تشرين الأول سنة 1458 قاد حملة مكونة من 280 سفينة و 25 ألف جندي واستولى على الميناء المذكور ، لكنه فشل في احتلال طنجة رغم محاولاته المتكررة بين سنتي 1463 - 1464م .

عانى المغرب الأقصى في أعقاب مقتل السلطان عبد الحق المريني في أيار سنة 1465 من ظاهرتي عدم الاستقرار السياسي والانقسام الداخلي ، إذ نشب صراع على الحكم بين

الشريف الإدريسي محمد بن علي وبين قائد مدينة أصيلا محمد بن الشيخ الوطاسي ، وامتد الصراع حتى 1472م ، بدخول الشيخ الوطاسي مدينة فاس مؤسسا الدولة الوطاسية ، ولم يستطع الوطاسيون إعادة الوحدة السياسية للمغرب الأقصى فقد ظل المرينيون يحكمون مدينة مراكش التي أصبحت تسمى عاصمة الجنوب ، في حين أصبحت فاس عاصمة للقسم الشمالي في المغرب .

استطاع البرتغاليون وضع حمايتهم على أزموّر سنة 1468 في سنة 1471 احتلوا أصيلا وطنجة والعرائش ولم تبقى حرة الا تطوان التي ظهرت فيها حركة مقاومة ضد الغزو البرتغالي بقيادة المنذري قائد حاميتها ، كما ظهرت في مدينة شفشاون سنة 1471 وتقع على ارتفاع ألف متر في جبال الريف بالقرب من تطوان ، حركة مقاومة قادها الشريف العلمي علي بن راشد

امتاز الغزو البرتغالي بخصائص عديدة : أبرزها سيطرة الطابع العسكري والاكتفاء في بداية الأمر بالمدن الساحلية ، وكانت محاولة التوغل والتحكم في المناطق الداخلية اعتمادا على حصن جزيرة المليحة عند التقاء نهو اللكوس ونهر وادي المخازن أول محاولة في هذا الاتجاه .

لقد استمر البرتغاليون في توسعاتهم فاتجهوا نحو المغرب الأوسط وأقاموا مؤسسة تجارية في وهران سنة 1483 وامتد نفوذهم إلى مدينة مراكش نفسها وسرعان ما ظهرت الدولة السعدية في الجنوب الغربي من وادي السوس لتتحمّل مهمة الدفاع عن البلاد وصد الغزو البرتغالي ، وكانت بعض جهات الوادي المذكور وخاصة مدينة أغادير قد وقعت في أيدي البرتغاليين ، ونجح سلاطين هذه الأسرة في تحرير كثير من موانئ مراكش ففي سنة 1541 هاجم السلطان محمد المهدي قلعة سانتا كروز في إقليم العيون الصحراوي الحالي واستولى عليها وكان من نتيجة الاندحار البرتغالي هذا إخلاء جميع النقاط المحتلة في أقل من عشر سنين باستثناء سبته

وطنجة ومازاغان خرج النفوذ السعودي من هذا الامر عظيما فنودي بمحمد المهدي سلطان على مراكش كلها سنة 1545 .

الغزو الاسباني للجزائر وطرابلس وتونس :

اتخذ الغزو الاسباني لأقطار المغرب العربي طابعا دينيا صليبيا ، إذ لم يقنع الاسبان بالقضاء على الوجود العربي في الاندلس وإنما هدفوا إلى مطاردة العرب في شمال إفريقيا والوصول إلى مصادر ثروتهم الأساسية في ذلك الوقت والمتمثلة باحتكار التجارة ، وكان لظهور دولة اسبانيا الحديثة الموحدة أثر زواج فرديناند الخامس الكاثوليكي بالملكة إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة الكاثوليكية أثر كبير في توجيه أنظارهم نحو الشمال الأفريقي ، وقد بارك البابا اسكندر بورجيا الرابع نشاطات الأسبان في هذا المجال ونثر قرارا يعطي الولاية لملي اسبانيا على الاراضي التي يبسطان السيطرة الاسبانية عليها .

لقد احتل الاسبان مرفأ عنابة سنة 1463 وبعد حصار دام قرابة شهرين ومقاومة عنيفة من سكانها استطاع الأسبان احتلال مدينة المرسى الكبير غربي الجزائر في أيلول سنة 1505 وفي 17 اذار 1509 احتل الاسبان مدينة وهران التي كانت تبعد عن المرسى الكبير ثمانية كيلومترات ، كما احتلوا في 5 كانون الثاني 1510 مدينة بجاية وبعد استيلائهم على جزيرة اسطفة أصبحت مدينة الجزائر ضمن مدى مدفعيتهم فاحتلوها سنة 1511 ولقد حاول الأسبان التوغل داخل الجزائر لكنهم فشلوا بعد مقاومة عنيفة التي أبداهها السكان .

لم تقف مطامع الاسبان عن احتلالهم الجزائر ، بل امتدت لتشمل السواحل الشرقية فاصطدم القائد الاسباني الكونت بدرو نفارو بمقاومة عرب السواحل التونسية الذين استفادوا من هزيمة إخوانهم عرب السواحل الجزائرية فهرعوا لتقوية الحصون وإعداد العدة للمقاومة ولم يتركوا ثغرة يستطيع العدو النفاذ فيها ، الأمر الذي اضطر بدرو نفارو إلى اتباع تـسـرـاتـيـجـية جديدة تقوم

على احتلال طرابلس ومن ثم التقدم نحو الشمال ، ورغم مقاومة طرابلس ، فإن الاسبان تمكنوا من اقتحام المدينة يوم 25 تموز سنة 1510 بعد ان بلغت خسائرهم قرابة 300 قتيل .

اتجه القائد الاسباني بدرو نفارو نحو الساحل الغربي لاحتلال جزيرة جربة ، ولكنه انسحب من أمامها في أواخر تموز 1510 أمام مقاومة أهاليها ، ولم يكن السكان في الجزائر قرفنة أقل من إخوانهم أهالي جزيرة جربة استعدادا وتصميما على المقاومة ، لذلك عاد بدرو نفارو إلى مدينة بجاية في شباط سنة 1511 م .

وقد قاد الملك الاسباني شارلكان حملة بحرية يوم 31 أيار سنة 1535 مؤلفة من 30 ألف من المقاتلين الذين أصبحوا يوم 16 حزيران من السنة نفسها أمام أطلال مدينة قرطاجنة وسواحل مدينة تونس ن وفي 21 حزيران احتلال الاسبان مدينة تونس وأباحوا لجنوهم نهبها انتقاما من أهلها الذين قاوموا الاحتلال .

فرض الاسبان على السلطان الحفصي الحسن بن محمد معاهدة مهينة كان من أبرز بنودها :

- 1- اعتراف الدولة الحفصية بتبعيةها للدولة الأسبانية .
 - 2- ملكية الاسبان ملكية مطلقة لمرسى حلق الوادي وقرطاجنة ومدينتي عنابة والمهدية .
 - 3- التزام " السلطان " بأن لا يدخل بلاده أحد من مهاجري الأندلس .
- وهكذا كان الاحتلال الأسباني للجزائر وطرابلس وتونس جزءا من خطة صليبية أوروبية استعمارية استهدفت تطويق العالم الإسلامي والوطن العربي ، وذلك لمحاولة إخضاع هذه المنطقة لنفوذهم والسعي لطمس معالم الحضارة العربية وقد استطاع الاسبان والبرتغال من توجيه ضربة شديدة إلى اقتصاد الوطن العربي بعد أن وضعوا أيديهم على تجارته فأصبحوا

قادرين على إيصال البضائع إلى أوروبا بأسعار تقل عن أسعار البضائع التي كانت تمر بالأقطار العربية وتدفع رسوما كثيرة .

لم يكن العثمانيون وهو القوة الفتية في العالم الاسلامي آنذاك بغافلين عن تلك التطورات الخطيرة التي كانت تحرك العالم في مطلع القرن السادس عشر الأمر الذي أدى إلى اندفاعهم في البحار ذات القيمة التجارية ولاسيما منها البحر المتوسط والمحيط الهندي ، وقد وجد السلطان سليم الأول أن على الدولة العثمانية إذا ما أرادت لممتلكاتها حفاظا أن ترمي ثقلها في ذلك الصراع قبل فوات الأوان ، فاحتلال الوطن العربي يحقق لها عدة أهداف أهمها بسط السيطرة العثمانية على الحوض الشرقي والجنوبي للبحر المتوسط ، وإبعاد نفوذ البنادقة والجنوبيين عنه ، والحد من عبث القرصنة الأوربية وتأمين المواصلات البحرية للدولة العثمانية وتجارتها والوصول إلى الأماكن المقدسة وحمايتها من إمكانات عبث البرتغاليين بعد ان ثبت إخفاق المماليك في هذه المهمة ، والسعي لإعادة الدولة الإسلامية إلى وحدتها السابقة وهيبتها الماضية وإبعاد مطامع الأوربيين ومنعهم من تطويق الدولة العثمانية وسد منافذ التجارة عليها .